

استخدامات الشباب لوسائل الاتصال الحديثة

هذه دراسة ميدانية أجريت في بعض المؤسسات التربوية في الجزائر. حتى يكون لديكم فكرة عن الاستخدامات المختلفة لوسائل الاتصال في المجتمع الجزائري من أهم التحولات الجذرية لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بتعدد وسائلها وفروعها، والتي أخذت أبعادا فاقت التصورات التي وضعت لها، تلك الاستخدامات التي أضحت من أساسيات الحياة المعاصرة، بل باتت تشارك مؤسسات التنشئة الاجتماعية في صنع الكثير من المتغيرات الأخلاقية، والإيديولوجية، والسلوكية، والسياسية، والثقافية لدى معظم فئات المجتمع.

تهدف هذه الدراسة إلى طرح بعض القضايا التي تخص الشباب من خلال ظاهرة أخذت بعدا لا يستهان به وجب التوقف عندها ومحاولة فهمها، ألا وهي ظاهرة استخدام الشباب لوسائل الاتصال الحديثة؛ ونخص بالذكر الانترنت والهاتف النقال والتي أصبحت تلعب دورا هاما في واقعهم اليومي.

لقد غيرت التكنولوجيات الحديثة من سلوك الشباب وتصرفاتهم وعلاقتهم بأسرهم و ببعضهم البعض، كما غيرت من نمط حياتهم وأساليب تعاملهم مع المحيط الاجتماعي الذي يتواجدون فيه ويتعاملون معه. لقد فرضت هذه التكنولوجيات نفسها على الشباب (ونعني هنا تلاميذ طوري المتوسط والثانوي) وملأت أوقاتهم بكثير من الأنشطة الذهنية والأفكار والرسائل والمعاني الجديدة، وأصبح من الصعب عليهم التمييز بين العالم الواقعي الذي يعيشون فيه والعالم الافتراضي الذي ينشطون ويتواصلون من خلاله. ويتشكل الواقع الجديد للشباب

وفق هذه المعادلة التي أصبحت بمثابة الاطار المرجعي لسلوكهم، ينسج الشباب علاقة خاصة مع وسائل التواصل الحديثة بشتى أنواعها، ويرتبط بها "حميميا" عبر الشاشة بشكل غير إرادي؛ حيث أن النشاط الاتصالي أخذ مساحة هامة في حياتهم و بات جزءا رئيسيا من نشاطهم اليومي.

ان انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة في أوساط الشباب والأطفال، ومن بينهم التلاميذ، أثار فضولنا العلمي للاقتراب من الظاهرة ومحاولة معرفة استخدامات المراهقين لهذه الوسائل، ومعرفة مدى الاتساق بين الواقع الذي تعكسه والواقع الفعلي المعاش. أي أن اهتمامنا انصب على استخدامات التلاميذ لتكنولوجيات الاتصال الحديثة بين الواقع الافتراضي والواقع الاجتماعي. وقد انطلقنا من التساؤل الرئيسي التالي:

- في إطار ثنائية الاستخدامات والإشباع، ما مدى الاتساق بين الواقع الاجتماعي الذي يعيشه التلميذ أو الشاب في الجزائر وبين الواقع الذي تنقله وسائل الاتصال الحديثة (الواقع الافتراضي) ؟

إلى جانب التساؤل الرئيسي طرحنا تساؤلات فرعية قصد الالمام أكثر بمختلف جوانب الموضوع :

- ما الذي تقدمه تكنولوجيات الاتصال الحديثة للتلميذ أو الشاب، كيف تتصورهم فتصورهم ؟
- هل يؤدي الواقع الافتراضي الذي يبحر فيه الشاب إلى الانفصام عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه ؟
- ما هي المساحة التي يخصصها الشاب لهذه الوسائل في حياته اليومية، وما هي الإشباعات التي تقدمها له؟.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة يقدر حجمها ب 300 مفردة ممن تتوفر فيهم خصائص معينة تتلاءم وموضوع الدراسة، وقد تم اختيارها بطريقة العينة العشوائية وهذا لصعوبة استخدام العينة الحية مع فئة التلاميذ دون سن السادسة عشر، وكذلك لصعوبة الحصول على قوائم التلاميذ من المؤسسات التعليمية.

شملت العينة على تلاميذ من مؤسسات تعليمية في الجزائر العاصمة ووهران، وقد تم تمثيل المتغيرات الديموغرافية في عينة الدراسة بهدف التنوع في العينة، حيث ضمت الاناث

والذكور من السنة الرابعة متوسط وتلاميذ السنوات الثلاث الثانوية والتي تتراوح اعمارهم بين 14 و 18 سنة.

وزعت العينة بالتساوي بين الولايتين بحجم 150 مفردة لكل ولاية، وبالتساوي بين الذكور والإناث بعدد 75 مفردة لكل نوع.

المجال المكاني للدراسة :

أجريت الدراسة على التلاميذ الذين يزاولون دراستهم بولاية الجزائر العاصمة باب الوادي وباش جراح، وفي وهران بحي الصديقية وحى سيدي البشير.

اختيرت المؤسسات التربوية عشوائيا حسب امكانية اجراء المقابلات وحسب اعتبارات أخرى كالمعرفة الشخصية بالمدرء أو المعلمين أو عمال المؤسسة.

وُزعت الاستمارات عن طريق بعض الأساتذة الذين أشرفوا على عملية ملئها وجمعها. وقد تم توزيع 400 استمارة وبعد عملية ملئها وجمعها تم استبعاد 100 استمارة لعدة أسباب منها الامتناع عن الإجابة، وعدم الإجابة على بعض الاسئلة المحورية، والخروج عن الموضوع، والإجابات الخارجة عن الآداب العامة.

أدوات جمع البيانات :

جُمعت البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة عن طريق الاستمارة التي ضمت 70 سؤالا بين أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، تمت صياغتها حسب المحاور التالية:

- استخدام التلاميذ لوسائل الاتصال الحديثة كالحاسوب، والانترنت، والهاتف النقال.
- مدى الاستفادة من الاستخدام في الحياة اليومية والدراسية.
- مدى نقل وسائل الاتصال للواقع الاجتماعي.
- الإشباعات المحققة من جراء استخدام وسائل الاتصال.

المعالجة الإحصائية للبيانات :

لقد تم تفريغ الاستثمارات عن طريق الحاسوب الآلي قصد معالجة البيانات إحصائيا باستخدام برنامج SPSS، وتم تصنيفها في جداول بسيطة ومركبة بهدف تحليلها واستخراج نتائج الدراسة.

ملخص الدراسة الميدانية:

ظهرت مستحدثات تكنولوجيا الاتصال في الجزائر في مرحلة كانت مليئة بالأحداث والأزمات خارجيا وداخليا حيث عرف العالم تغيرات جذرية جيو-سياسية مثل انهيار المعسكر الاشتراكي، سقوط جدار برلين، أزمة البلقان وعلى الساحة العربية والاسلامية نشوب حرب الخليج، الانتفاضة الفلسطينية الأولى، تصاعد التيار الاسلامي السياسي وحرب افغانستان والشيشان.

اما داخليا اشتداد الأزمة الاقتصادية وعجز ميزانية الدولة ظهور العنف السياسي، تفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، تصاعد تيار الاسلام السياسي، كما عرف المجتمع تغيرات عميقة على كافة المستويات السياسية الثقافية الاقتصادية والاجتماعية تمثلت في انتهاء عهد الحزب الواحد وظهور التعددية الحزبية، خفض قيمة الدينار جدولة الديون لدى صندوق النقد الدولي، رفع الدعم عن المواد الاستهلاكية الأولية، بيع المؤسسات العمومية وتسريح العمال، ارتفاع نسبة البطالة وأزمة السكن. اعادة طرح المسألة الأمازيغية في ثوب ثقافي سياسي، الاعتراف بالأمازيغية، المطالبة بالهوية البربرية حرية التعبير، التراجع عن قانون التعريب وفوق كل هذا منع دخول الصحف والمجلات والكتب الأجنبية الأمر الذي انجر عنه انسداد في المشهد الثقافي والسياسي في الجزائر. اكتسحت الفوضى المجتمع الجزائري من كل الجوانب ابتداءً بأحداث أكتوبر 1988 وظهور الجبهة الاسلامية للإنقاذ كحزب كان له دور حاسم في صنع الأحداث، وصولا إلى اضرابات 1991 التي شلت هيكل الدولة والمجتمع مرورا بقانون حالة الطوارئ ثم اغتيال الرئيس محمد بوضياف وانفجار الأوضاع فتزايدت الاغتيالات والتفجيرات وانتشر العنف في كافة مجالات الحياة الاجتماعية.

في خضم هذه الأحداث عرفت الساحة، بداية دخول مستحدثات تكنولوجيا الاتصال وهذا بظهور الهوائيات المقعرة والبث الفضائي، وبدأت أجهزة الاتصال الآلي تدخل الاسواق وتعرف اقبالا من طرف الكبار والصغار، واخذ استخدام هذه الوسائل يزداد يوما بعد يوم ولعبت دور الوسائط لنقل التفاعل بين أفراد المجتمع الكبير أو ما يطلق عليه روبيرت اسكريبيت Robert, Escarpit اسم المجتمع ذو الحجم الضخم Hyper dimension، وقد شمل هذا الإستخدام معظم الفئات الاجتماعية من بين هذه الفئات تلاميذ المدارس والثانويات الذين وجدوا ملاذا لاشباع فضول المرحلة العمرية التي يمرون بها. وأصبحت هذه الوسائل اليوم بمثابة المعلم الأول، فحان لنا أن نتساءل عن طبيعة هذه الاستخدامات، وما هي المساحة التي يخصصها المراهق في حياته اليومية لها؟ ماذا تمثل بالنسبة له؟ وما هي الإشباعات المحققة من خلال هذا الاستخدام؟ وهل تساعده على التعرف على الواقع؟ هل دخل التلاميذ مرحلة الادمان على وسائل الاتصال؟ وهل أصبحت هذه الوسائل بديلا تعويزيا Un objet transitionnel ؟

وللاقتراب من الظاهرة ومحاولة ايجاد اجابات لتساؤلاتنا توجهنا خلال انجازنا لهذه الدراسة إلى الأفراد الذين يعيشون الظاهرة بأنفسهم، وهم التلاميذ.

شملت العينة على 300 مفردة موزعة بالتساوي بين النوعين الاناث والذكور اى بنسبة 50 % لكل نوع يزاولون دراستهم في اقسام السنة الرابعة متوسط، الاولى، الثانية والثالثة ثانوى.

اما المستويات التعليمية لأولياء التلاميذ أفراد العينة تتوزع إلى ثلاثة فئات وقد ارتأينا أن نركز على هذا الجانب لأن المستوى التعليمي للوالدين مهم في رأينا حيث أن الآباء هم المشرفون الاساسيون على عملية التنشئة الاجتماعية .

الأمهات:

- الفئة الأولى: 14.1 % ذات مستوى عالي.
- الفئة الثانية: 35.4 % ذات مستوى متوسط.
- الفئة الثالثة: 50.5 % ذات مستوى ضعيف.

الآباء:

- الفئة الأولى: 18.6% ذات مستوى عالي.
- الفئة الثانية: 66.8% ذات مستوى متوسط.
- الفئة الثالثة: 14.6% ذات مستوى ضعيف.

ان المستوى التعليمي لآباء افراد العينة متقارب مع المستوى التعليمي للأمهات في المستوى الأول، أي العالي أما نسبة الأمهات في المستوى الثالث فهي أعلى من نسبة الآباء أي أن نسبة الأمهات ذوات المستوى التعليمي الضعيف أعلى من الآباء، بينما نسبة المستوى المتوسط بين الآباء أعلى منها لدى الأمهات.

للأمهات دور هام في الرقابة على استخدامات ابنائهن لوسائل الاتصال، حيث يستطعن توجيه اختيارهم كما يمكنهن من النقاش معهم حول مشاهداتهم واستخداماتهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن للأمهات بهذا المستوى التعليمي المتدني مواكبة التطورات الحاصلة في ميدان تكنولوجيات الاتصال، ومن ثمة فهم وتوجيه ومراقبة، بل مشاركة هؤلاء التلاميذ؟

أسفرت الدراسة عن عدة نتائج من بينها:

إجماع أفراد العينة على استخدامهم لوسائل الاتصال الحديثة منها والقديمة، ويعتبر التلفزيون الوسيلة الأكثر استخداما بين أفراد العينة، وهي الوسيلة الوحيدة المتوفرة في جميع المنازل بنسبة 100% ذكورا وإناثا، بصرف النظر عن التباينات السوسيو- ثقافية. من جهة أخرى، بلغت نسبة الحواسب الآلية في المنازل 45% ونسبة المرتبطين بالانترنت 31.1%، رغم أن نسبة استخدامه خارج المنازل بلغت 74.9% كما أن نسبة 63.8% من أفراد العينة يملكون هاتفا نقالا، وهو الوسيلة الثانية بعد التلفزيون المتوفرة لدى أفراد العينة.

يستخدم التلفزيون بملحقاته الحديثة وهو الوسيلة المفضلة لدى أفراد عينة الدراسة لملء وقت الفراغ تعتبر مشاهدة التلاميذ عينة الدراسة للتلفزيون مشاهدة كثيفة حيث ان 52.6% من أفراد العينة تشاهد التلفزيون لمدة 6 ساعات يوميا.

يستخدم الهاتف النقال بطريقة فردية حيث يعتبر ملكية خاصة، يلجأ اليه التلاميذ في كل الأوقات. انه الوسيلة التي يتفاعل معها التلاميذ أكثر من الوسائل الأخرى حيث تستخدم طوال النهار وفي كل مكان.

للهااتف النقال استخدامات متعددة من طرف تلاميذ عينة الدراسة فهو يستعمل للعب، التقاط الصور، الاستماع للموسيقى، مشاهدة صور وفيديوهات مسجلة، لإرسال واستقبال الرسائل القصيرة، معاكسة الآخرين...

تستخدم نسبة كبيرة من عينة الدراسة وهي 79.54% الحاسوب والانترنت يوميا، فاستخدامات أفراد العينة للحاسوب تتمثل في اللعب والتسلية عندما لا يكون موصولا بالانترنت. بينما يتنوع استخدامه عند ارتباطه بالشبكة العنكبوتية فيستخدم كوسيلة للحصول على المعلومات أو للدراسة والاتصال عن طريق البريد الالكتروني للردشة البحث عن أصدقاء جدد، التسلية واللعب، الهروب من الواقع.

إن كثافة الإستخدام والمشاهدة صارت أحد عناصر عملية التنشئة الاجتماعية، بفعل نقل الشاشة (التلفزيون، الحاسوب، الانترنت، الهاتف النقال) لمجموعة من العناصر الثقافية والقيم والمعايير للمستخدم.

ان استخدام وسائل الاتصال من طرف المراهقين أصبح سلوكا يوميا منتظما. وقد أجمع أفراد العينة على أنهم يستخدمون يوميا التلفزيون والهواتف النقالة، وانقسمت الاجابات بين من يستخدم الحاسوب والانترنت يوميا وهناك من يفعل ذلك أسبوعيا.

لقد أصبح استخدام التلفزيون ومستحدثات التكنولوجيا سلوكا منتشرا بين النوعين، بغض النظر عن مختلف المتغيرات التي يخضعون لها.

38.9% تشاهد التلفزيون لمدة 6 ساعات يوميا، 45.5% تستعمل الانترنت أكثر من 4 ساعات يوميا.

76% تمتلك هواتف نقالة، 62.3% تأخذها معها للمدرسة فهي أصبحت جزءا من حياتها لا يمكنها الاستغناء عنها. ومن النتائج الملفتة للانتباه التي توصلنا اليها أن 66.7% من عينة

الدراسة ترى أن هناك فرقا بين العالم الافتراضي والعالم الواقعي، 37.6% اعلنوا انهم تغيروا اتجاه جيرانهم، 53.2% اتجاه زملائهم بينما أقر 51.1% أنه لم يحدث لهم تغير نحو عائلاتهم و63.8% نحو معلمهم.

ان استخدامات التلاميذ لمستحدثات التكنولوجيا تمثلت في التالي:

- استخدامات تعليمية: مثل تعليم الذات، كسب التجارب، تشكيل السلوك، وتقديم الأدوار البديلة.
- استخدامات اتصالية: استخدام مستحدثات التكنولوجيا كأداة تفاعل اجتماعي.
- استخدامات وظيفية: من أجل تحقيق الاشباع، تلبية الاحتياجات حيث ينتقي التلميذ الوسيلة إلى تشبع حاجاته حسب خصائص كل وسيلة والسياق الاجتماعي الذي يتم فيه الاستخدام.
- استخدامات ترفيهية: بوصفها مهمة في حد ذاتها لاشباع الحاجة إلى التغيير والاسترخاء والهروب من الواقع ، البحث عن علاقات جديدة.

اما فيما يخص الإشباع المتحققة من استخدام وسائل الاتصال في هذه الدراسة فهي على النحو التالي:

*اشباع الحاجات المعرفية، الرغبة في البحث والدراسة، الاستفادة من التجارب، محاكاة الواقع، الالمام بالأخبار والأحداث، الهروب من مشاكل الحياة اليومية، اللعب والترفيه، الحاجات الاجتماعية، التميز عن الآخرين، ملء الفراغ.

ان محتوى مضامين التعرض والإستخدامات تختلف من تلميذ لآخر، ومحتوى مضمون معين يحقق اشباعا معرفيا لأحد الأفراد بينما يحقق اشباعا تنفيسيا لفرد آخر. ومن ثمة فان اختلاف الاحتياجات النفسية والاجتماعية للتلاميذ تشكل متغيرا وسيطا يؤثر في اختيار كل مراهق لوسائل الاتصال ومحتواها.

وعليه يمكن القول أن المستحدثات التكنولوجية التي يستخدمها التلاميذ تحقق لهم اشباعا متعددة يعد بعضها تعويضا عن النقص الذي يشعرون به في علاقاتهم مع الكبار.

الاستنتاجات:

أسفرت الدراسة الميدانية على ان مستحدثات التكنولوجيا التي يستخدمها التلاميذ اصابتهم بالعزلة والابتعاد عن العائلة والأصدقاء، فالإستخدام الفردي قضى على العلاقات العائلية حيث أن التلميذ يعيش مرحلة انبهار مع الشاشات العديدة المتوفرة لديه.

فالبيوت أصبحت تتوفر على أكثر من وسيلة تكنولوجية، نجد في البيت الواحد أكثر من جهاز تلفزيون، أكثر من حاسوب واحد، وهواتف نقالة بعدد أفراد الأسرة وأصبح بمقدور التلميذ مشاهدة ما يشاء عن طريق الانترنت ان لم يكن في البيت ففي مقاهي الأنترنت دون مراقبة ويمكنه تحميل جواله بما يشاء من الأنغام والصور والفيديوهات والتي أصبح يتفنن التلاميذ في تبادلها بعيدا عن أعين الكبار.

ان الإستخدام المكثف لهذه الوسائل جعل التلاميذ يعتزلون الحياة الاجتماعية والاسرية وحتى التخلي عن المشاهدة الجماعية للتلفزيون.

يقضى تلاميذ عينة الدراسة وقتا طويلا بين الشاشات المتوفرة لديهم: شاشة التلفزيون، وشاشة الحاسوب وشاشة الهاتف النقال، انه وقت يجدون فيه ترويحاً واسترخاءً، يعفيهم من متطلبات الحياة، ويبعدهم عن وصاية الراشدين. ان مستحدثات التكنولوجيا تجعل

التلاميذ يعيشون في واقع بعيد عن واقعهم لا يستطيعون حتى فهمه أحيانا الامر الذي يعزز الشعور لديهم بالاغتراب مما يدفع بهم إلى الانعزال عن المجتمع من جهة والادمان من جهة أخرى.

أصبحت مستحدثات التكنولوجيا منافسا للأسرة والمدرسة في نقل انماط ثقافية تؤثر على تنشئة الطفل داخل المجتمع وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نعرف الوقت الذي يقضيه التلميذ في استخدام مستحدثات التكنولوجيا.

لم تعد عملية التنشئة الاجتماعية محصورة في الاسرة والمدرسة فحسب انما هي اوسع من ذلك، بحيث اصبحت تضم نظما وعلاقات ومؤثرات كثيرة ومتنوعة. ولهذا فمستحدثات التكنولوجيا هذه بمختلف أنواعها تعتبر من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية –الثقافية وأخطرها على التلاميذ بما تتضمنه من معلومات وخبرات وما تقدمه من سلوك وأحداث.

قد تعود كثافة الإستخدام من قبل التلاميذ لهذه المستحدثات إلى الرغبة الملحة في التمرد على الأسرة، المدرسة والمجتمع، نتيجة عوامل الكبت والاحباط التي يتعرضون لها، ونتيجة فقدانهم للمكانة الاجتماعية.

أثبتت الدراسة تراجع دور الأهل والمدرسة كمؤسسة في علاقة المراهق بمستحدثات التكنولوجيا فانشغال الأم أحيانا وعدم اهتمام الأب بأبنائه، دعم علاقة المراهق بهذه المستحدثات حيث تنشأ بين الطفل وهذه الوسائل علاقة خاصة تحدد طبيعة الاستخدام، فالتلميذ ونظرا لخصوصية المرحلة العمرية التي يمر بها وحساسيتها مشغول بالعديد من الامور التي تتعلق به وبنموه الجسمي وبعواطفه، واحاسيسه ولا يجد لها أجوبة مقنعة وكافية في محيطه الأسري والمدرسي، فهي تحقق له أغراضا خاصة به تبعده عن عالم تعود السلطة فيه للكبار. انه يجد في هذه المستحدثات حرية الإستخدام والتفاعل، فإلى جانب التسلية والترفيه تفتح له مجالات للحوار وإنشاء صداقات جديدة الشيء الذي يفتقده في محيطه.

يستطيع التلميذ من خلال الاستخدام والاشباع الذي تقدمه له هذه المستحدثات بناء عالم جديد مختلفا عن العالم الذي يعيش فيه، كما يستطيع ان يحدد جزئياته بمفرده كما يحدد أفراده وطبيعة الحوار.

لقد تبنت مستحدثات التكنولوجيا التلاميذ ورسمت لهم الأدوار والسلوكات الاجتماعية فهل تخلق المربون من اولياء ومعلمين طوعا عن القيام بمسؤولياتهم ازاء هؤلاء التلاميذ أم أن مستحدثات التكنولوجيا لها منطقتها الخاص؟

لا يتعامل التلميذ مع وسائل الاتصال باعتباره فردا منعزلا عن واقعه الاجتماعي وانما باعتباره فردا في جماعة يتأثر ويؤثر فالحاجات المرتبطة بمستحدثات التكنولوجيا لدى التلميذ تنشأ من وجوده وتفاعله في بيئته الاجتماعية.

إن المواقف التي يتعرض لها التلميذ والحاجات النفسية التي تنتج عنها، تدفع به إلى البحث عن حاجات معينة عن طريق استخدام مستحدثات التكنولوجيا وهذه العملية تشكل في حد ذاتها نوعا من الاشباع.

إن التلاميذ عينة الدراسة جمهوراً نشطاً في اختياره للوسيلة واستخدامه لها بما يحقق له الأشباع المطلوب. توفر مستحدثات التكنولوجيا للتلاميذ الاسترخاء والمتعة كما تزودهم بالمعلومات لتقمص الأدوار المستقبلية. كما تبعدهم عن الواقع الذي يعيشونه.